بداية الخَلْق

التوفيق أولاً...!!

إن بداية الخلق... ما قبل آدم... بداية تهز النفوس أسأل الله أن يوفقنا في عرض هذا الموضوع وأن يفتح علينا ويفيض علينا من فيوضات كرمه.

وأسأله سبحانه أن يوفقكم لحسن الإقبال بقلوب طاهرة نقيّة... اللهم آمين.

إن قصة بداية الخلق تنادي على كل قلب قاسٍ جامد غافل، أَنْ أرفِقْ... وستستجيب إليها القلوب إن شاء الله ولكن بشرط...!!

إن أجادوا حُسْن الاستقبال.

تعالوا نَعُدْ لما هو قبل المخلوقات، قبل الأنبياء، قبل آدم، قبل السمٰوات والأرض لنبدأ القصة من البداية

كان الله وحده....!!

ماذا كان قبل آدم، قبل الملائكة، قبل الجن، قبل الأنبياء، قبل السمٰوات والأرض، قبل السحب والرمال والبحار و... ماذا كان قبل كل شيء...!؟

إجابة واحدة تنطق بها الأفواه في صوت واحد قائلة: «كان الله وحده».

جرعة ينبغي على كل القلوب أن تمتلىء بها... لا بد أن تغرس في القلوب هذه الجملة؛ ففيها يرسخ اليقين وحينها استشعِرْ قدرة الله وعظمته ثم انظر لحجمك أيها المسكين الضعيف... أيها الكائن الذي لا حول له ولا قوة... حقّاً ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: 91].

أخي الحبيب... أما وقر في قلبك شيء؟

يـقـول الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: 4].

إن كانت قراءتك لهذه الآيات قراءة فهم واستشعار لمعانيها ستكون النتيجة أن تأخذ نَفَساً عميقاً متبوعاً بقول: لا إله إلا الله فتخرج مندفعة من القلب... وليس هذا قانوناً عاماً يسري على كل الناس فلكل منا حال مع آيات الله...

ان هدف هذا الموضوع - بداية الخلق - يتلخص في هذه الجملة - كان اللّه وحده - وما يترتب عليها فهو امتلاء القلب بجلال اللّه ﷻ.

هيا... تجرد لهذا المعنى المطلق... وكل ما تراه من حولك: البشر، الكائنات، الشمس، القمر، التكنولوجيا المخترعات العجيبة،...

اعلم أن كل ذلك لم يكن شيئاً، فلقد كان اللّه وحده...

اين كان ربنا...؟

ويروي الإمام أحمد[1] في مسنده وابن ماجه في سننه[2]، أن أحد الصحابة قال للنبي ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق السمٰوات والأرض؟ فقال النبي ﷺ: «**كان في عماء لا شيء معه**».

إنها الحقيقة الكبرى...!! إننا مستحدثون على هذا الكون ويخطىء من يظن أننا الأصل... لا والله إننا سكان جدد على هذه الأرض، والساكن - كما نعرف جميعاً - ليس المالك...

لذلك كلنا محتاجون إلى مالك الملك الله ﷻ... ترى ما معنى «عماء» التي أوضحها النبي ﷺ للصحابي؟ معناها: هو ما يَعْمى على العقل أن يتخيله فلا يستطيع أن يتصوره أبداً... كان الله وحده ولا شيء.

مسكين أيها العقل كيف تستطيع ادراك امر كهذا «كان اللّه وحده» تعجز عن

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 11).

(2) أخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 882).

ادراكه العقول والأذهان، هل يستطيع كوب أن يستوعب داخله ماء البحار؟ لا يمكن بالطبع... ولله المثل الأعلى.

أول هذا الأمر

عن عمران بن حصين ﷺ، قال: جاء وفد من اليمن إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال النبي ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، كان الله ولم يكن شيء قبله**» ولم يكن شيء غيره وهذا الحديث رواه البخاري[1]. أخي الحبيب... تخيل هذا الحديث وما قبله وتفكر في كلمة ـ كان الله وحده ـ راسخ بخيالك وتفكيرك وعد إلى الوراء... أكثر فأكثر... حاول وتأمل ثم اقرأ هذه الآية بقلبك، يقول الله ﷻ:

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1].

هل فهمت ما الذي أقصده من التمثيل والتأمل؟ اننا نحن البشر عند التفكير بأصغر الموقف ونستمره في الفلسفة فقط، أما اذا أردنا العمل والإسقاط على الواقع فلا وألف لا...!!

فهل نتذكر يوماً كنا فيه عدماً... لم نكن شيئاً نذكر!؟ وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوجدنا وأنعم علينا بهذه النعمة. نعمة الوجود. كيف نتكبر على الله بعد ذلك وهو مُوجِدنا!! ألا تشعر بأن عدم ركوعك وسجودك لمُوجِدك بعد تكبراً...!؟

حقيقة يجب أن تستقر...!!

يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: 67] ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ [الأنبياء: 104].

يقولون إننا إذا جئنا بأسد حقيقي وجئنا بطفل ثم وضعناه بجوار الأسد... ترى ما الذي يفعله الطفل؟ سيلعب بالطبع مع الأسد وسيضع يده في فمه... لن يخاف منه لأنه لا

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 7418).

يعرفه... لا يعرف ما هو الأسد... لا يقدر قدر الأسد...!! ولله المثل الأعلى.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الزمر: 67].

أما الرجل العاقل الناضج يعرف قيمة الأسد ويعرف قدره.

ترى... متى تصل الى الرجولة الصحيحة لا الرجولة الذكرية... فكلنا يعلم أن كل رجل ذكر، ولكن ليس كل ذكر رجلاً.

أخي الحبيب... ان الحقائق لا تستقر بمجرد تكرارها على الألسنة... انما تستقر بالإيمان بها والعمل الدائم لها.

واهتز المنبر...!!

يقول عبد الله بن عمر ﷺ رأيت النبي ﷺ في يوم يصعد المنبر ينادي، ويقول بأعلى صوته: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

يقول عبد الله بن عمر: ثم علا صوته وظل يشير بيده ﷺ ويقول: «**يمجد الله نفسه يقول: أنا الملك... أنا الجبار... أنا القوي... أنا العزيز... أنا المدبر... أنا الأول... أنا الآخر...**» يقول عبد الله بن عمر: فظل النبي ﷺ يردد أسماء الله الحسنى، فرأيت المنبر يرتجفُ برسول الله ﷺ.

إن المنبر ـ الخشب ـ اهتز بجلال الله... لقد اهتز وتحرك، وقلوب البعض من بني آدم ما زالت جامدة تقرأ فقط... تأثر الجماد ولم تتأثر هي.

ماذا دهاكِ يا قلوب المسلمين... ما هذا الكم الرهيب من المواقع والصواهد التي تعرق دون وصول الإحساس الصادق المرهف اليك... من السبب يا ترى...؟!

العراقيل... ما السبب في كون الجماد أشد تأثراً من القلوب التي كانت في يوم من الأيام تبكي قبل العيون اذا ذكر الله في خلوة... ان هذه القلوب الآن تفعل الأفاعيل فتعق الوالدين... وتابى الصحاب... وتهمل الصلاة.

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 7414)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6977)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3238)، و(الحديث: 3239).

يا قلوب المسلمين لقد اهتز المنبر أما آن الآوان لكِ!!؟

البداية والنهاية

هكذا كانت البداية ـ كان الله وحده ـ لا شيء مع الله ترى كيف ستكون النهاية؟!... وقبل ذلك لنرى أحوالنا وأمورنا التي تشغلنا فنحن الذين نعمر الأرض ونملأ الكون نشاطاً وحركة وعلماً... منا من يرى الكون قرية صغيرة وبالفعل أصبحت كذلك حتى ظنّ الإنسان أنه قادر عليها وأنها أصبحت ملك يديه، وهنا يأتي مشهد النهاية وهو مشهد محسوم من قبل المالك الحقيقي للكون... مالك الملك... الله ﷻ الذي يقول: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68].

يا لضعفك أيها الإنسان تظن أن بيدك كل شيء وتملك كل شيء ولكن ما تملكه هو السراب... هل نسيت؟ أما قلنا: إنك ساكن ـ مستأجر ـ أَفِقْ... إنك لست المالك، فالمالك وحده وهو الذي يحدد وقت إقامتك.

سبحان الله ان هذا الكون بدأ بنفخة من الله تبارك وتعالى في آدم وسينتهي أيضاً بنفخة في الصور... ان دنيا تبدأ بنفخة وتنتهي بنفخة لهي هيّنة ولا تساوي جناح بعوضة.

تذكر... ماذا كان قبل كل شيء؟... من بيده الأمر؟ من هو الأول والآخر؟ من هو المحيي والمميت؟ من هو المبدىء والمعيد؟

ثم تذكر... تذكر... من أنت!؟

سؤال له توابع..!!

وفي النهاية يصعق من في السمٰوات ومن في الأرض من آخر نفخة في الصور.. ترى كيف تكون هذه الصعقة..!؟

الكل تصيبه هذه الصعقة... البهائم والطيور والأسماك والبشر والجن والملائكة... الكل يفنى إلا من شاء الله.

ثم ينادي الله تبارك وتعالى: يا ملك الموت: من بقي حَيّاً؟

تذكر نفسك بعد هذا السؤال أيها المسلم ـ فيقول ملك الموت: لم يبق إلا إسرافيل وميكائيل وجبريل وعبدك ـ ملك الموت ـ فيقول الله ﷻ: يا ملك الموت اقبض روح إسرافيل، فيقبض روح إسرافيل، ثم يقول الله ﷻ: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: لم يبق إلا ميكائيل وجبريل وعبدك فيقول الله ﷻ: اقبض روح ميكائيل؟ فيقبض روح ميكائيل.

تذكر ذنوبك وتيهك وغفلتك ومعاصيك...

ثم يقول الله ﷻ: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول: لم يبق إلا جبريل وعبدك فيقول الله: اقبض روح جبريل فيقبض روح جبريل، ثم يقول الله: من بقي يا ملك الموت؟ فيقول ملك الموت، لم يبقَ إلَّا عبدك يا رب، فيقول الله ﷻ: يا ملك الموت، اقبض روحك. فيقبض ملك الموت روحه... ثم ينادي الله تبارك وتعالى:

فليستمع كل لاهٍ، غافل، تائه، عاصٍ فليستمع كل منا بقلبه وليعلن كل قلب الاستقلال... استقلال قلبه من الشهوات التي احتلته سنوات طويلة

ينادي الله تبارك وتعالى ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فلا يجيب أحد، فلا أحد.

فيجيب الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

أين الملوك؟ أين الجبابرة؟ أين الأكاسرة؟ يقول النبي ﷺ: «**فيقول الله تبارك وتعالى: الملك اليوم لله الواحد القهار أربعين**».

ترى أربعين يوماً، أم أربعين شهراً، أم أربعين سنة... لم يعد للزمان معنى فلقد سقط الزمن...

﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ سؤال بمثابة الزلزال الذي يزلزل هذا القلب فيهتز ويخشع لله الواحد القهار ويكون لسان حاله: من لي سواك؟!

انه زلزال لا بد له من توابع يظهر أثرها على الجوارح... انني على يقين أن توابعه ستفتك بهيئة الغفلة.

من أنت أيها المسكين...!؟

رأينا كيف كانت البداية وكيف ستكون النهاية وعلمنا أنه «كان الله وحده» في البداية والنهاية.

أما فهمنا الآن اسم الله الأول واسم الله الآخر...؟

يقول الله ﷻ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢﴾ [الحديد: 1، 2].

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: 3].

وانظر إلى النبي ﷺ حين يدعو ويقول: **«اللهم رب السمٰوات والأرض ربنا ورب كل شيء، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»**[1].

وكان الكلمات تنادي عليك أن اغرسني في قلبك لتحصد أطيب الثمار من أشجار الإيمان.

نعم... كما أوضحنا في السابق: أن قصص الإيمان من أهدافها غرس العقيدة ورسوخها وكيف لا ترسخ وقد علمت أن الله هو الأول فليس قبله شيء وهو الآخر فليس بعده شيء... وهو خالق السمٰوات والأرض... وهو القادر على كل شيء وهو المبدىء والمعيد، يقول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27]. ويقول أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت: 19].

حين يفكر العقل ويبحث عن قدر لهذا المخلوق الضعيف المسكين الملقب: بالإنسان يجد أنه لا شيء، لا يفعل، بل يُفعل به.

ومع ذلك قد أعطاه الله عقلاً وحرية ليكون مخيراً في هذه الدنيا... يفعل فيها ما يشاء مع علمه بالخطأ والصواب.

أيها الإنسان فأين أنت من الملك؟!

أين العقول!؟

يقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٣٧﴾ [الطور: 35 ـ 37].

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6827)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 3481)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3831)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 536).

للوهلة الأولى تجد أن هذه الآيات تخطف القلوب لو نطقت لقالت بأعلى صوتها: أين عقلك أيها الإنسان!! كيف تغفل عن خالقك... لماذا جمدت القلوب؟!

استشعر المعنى وربك يقول: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: 35]، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: 37].

كانت هذه البداية لتستشعر مدى ضعفك أمام القوي، ومدى ذُلّك أمام العزيز، ومدى فقرك أمام الغني، ولتستشعر هذا المعنى... «كان الله وحده».

التخلص من كل الذنوب...!!

أردنا من هذا التنويه في البداية استجاشةً للعاطفة وترقيقاً للقلوب ومعرفة كل منا بضعف إنسانيته بجوار خالقه العظيم، ولكن كان للبعض رأي آخر...

فهؤلاء الشباب الذين لا همَّ لهم سوى صحبة الفتيات، وهؤلاء الشباب مدمنو الخمر والمخدرات... وغيرهم، ما زالوا فيما هم فيه... ولكن لهم معنا وقفة ستغير مجرى حياتهم، إنني أعلنها صريحة مدوية... إنكم أيها الأحبة تستطيعون التخلص من كل هذه الذنوب...

وذلك بأن يمتلىء القلب بحب الله، فوالله إن حب الله نور ونار، نور يضيء للإنسان الطريق، ونار تحرق الشيطان والمعاصي، هيا نحب الله فينشرح الصدر ويتحرر الإنسان من قيد المعصية... بحب الله تجد إعانته لك، حتى وإن كنت مُصِرّاً على المعصية.

هيا... فكما يقول ابن القيم: «أعظم الأبواب التي تدخل منها الى الله هو باب الفقر والذلة لله ﷻ» عبادة الفقر والذلة أصلى عبادة تدخل بها على الله. انظر الى النبي ماذا يقول في دعائه: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك».

أيقول هذا الكلام قلب لم يتعلق بحب الله...!؟ والله ستشعر بالفناء وانكسار الذات وصدق العبودية والروحانية الصادقة والتوكل الحق عندما يمتلىء قلبك بحب الله... وكل اناء بما فيه ينضح.

وصف له وصف...!!

وانظر إلى النبي ﷺ حين وصف سيدنا جبريل يوم الإسراء والمعراج يقول: «**رأيت**

جبريل يوم المعراج كالحلس البالي من خشية الله».

والحلس هي قطعة القماش الممزقة... انظر إلى هذا الوصف... يقول ذلك النبي حين رأى انكماش واستكانة وخضوع وخشوع سيدنا جبريل، وهو من؟ ملك! وليس كأي ملك... إنه الروح الأمين.

إن ما فعله جبريل تجسيد لمكانة الله عنده...!!

هلا استشعرت هذا المعنى، من هذا الوصف تعلَّم من سيدنا جبريل كيف يقدر اللّه، وكيف انعكس ذلك على شكله... انه الذليل أمام مولاه العظيم.

لم نخلق من أجل ذلك

خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعبده يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾...﴾ [الذاريات: 56] خلقنا سبحانه وتعالى لنعرفه، فمعرفة الله هي سر الوجود... خلقنا سبحانه وتعالى لنحبه.

يخطىء من يظن أن الله سبحانه وتعالى خلقنا لنأكل ونشرب ونتزوج وننجب ونموت.

لقد كرم اللّه بني آدم بالعقل، فهل بعد هذا التكريم يرضون بالدون؟! فما الفرق بينهم اذن وبين الأنعام؟ فهم يأكلون ويشربون وينجبون ويموتون بل ويُسبحون اللّه ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

الكيلاني يدلك على الباب...!!

يقول عبد القادر الكيلاني: «طرقت الأبواب إلى الله، فكلما طرقت باباً وجدت عليه أمة من الناس فهذا باب الصلاة، آلاف يدخلون منه، وهنا باب الصيام، آلاف يدخلون منه، فطرقت باب الذل فوجدته فارغاً فدخلت وقلت لهم هلموا...».

الكيلاني يطرق الأبواب جميعاً، ولكنها ملأى فدخل في باب الذل... ترى أي الأبواب طرقنا...!؟

يا رب أسألك مسألة المساكين، وأبتهل اليك ابتهال الضعفاء، وأئن اليك أنين المذنبين، أسألك مسألة من كثرت ذنوبه وقلت حيلته وعظمت مصيبته، يا رب أنت

القوي وأنا الضعيف اليك، وأنت الغني وأنا الفقير اليك، وأنت العظيم وأنا الذليل اليك، يا رب عبيدك سواي كثير، وليس لي رب سواك...

إلى النفس الطموحة

وأول ما خلق ـ وسنراه إن شاء الله في الجنة ـ هو عرش الرحمٰن، حينما جاء وفد إلى النبي ﷺ وقالوا له: يا رسول الله، ما كان أول هذا الأمر؟ فقال النبي ﷺ: **«كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء»**[1].

الكثير منا من اشتاق الآن لرؤية العرش فهنيئاً له هذا السبق، فكلنا يعلم قصة عكاشة الذي كان في حضرة النبي ﷺ هو وبعض الصحابة، وكان الرسول يحدثهم فقال لهم: **«إن هناك من يدخلون الجنة دون حساب»** فقال عكاشة: ادع الله لي يا رسول الله أن أكون منهم. فقال له الرسول ﷺ: **«أنت منهم يا عكاشة»** فقال أحد الصحابة: ادع الله لي يا رسول الله أن أكون منهم، فقال له الرسول: **«سبقك بها عكاشة»**[2]. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

يقول النبي ﷺ: **«إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، منه تنبع أنهار الجنة، وسقفه عرش الرحمٰن»**[3].

انها النفس الطموحة التي تسعى دائماً الى المعالي، وصدق من قال:

وَمَنْ لاَ يحِبّ صُعُودَ الجِبَالِ يَعِشْ أبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَرْ

ولكن النفوس التي قيدت ما بين الطعام والشراب والشهوات، لا مكان لها وسط النفوس العظيمة التي تأمل ان تكون في رفقة النبي ﷺ في الجنة.

وما قدروا الله حق قدره

يقول النبي ﷺ: **«ما السماء الأولى في السماء الثانية إلا كحبة في صحراء، وما السماء الثانية في السماء الثالثة إلا كحبة في صحراء، وما الثالثة من الرابعة إلا كحبة في صحراء، وما الرابعة في الخامسة إلا كحبة في صحراء، وما الخامسة في السادسة إلا كحبة في صحراء، وما**

---

(1) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 2/ 341).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 6542)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 521)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2446)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 1/ 271).

(3) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 335).

السادسة في السابعة إلا كحبة في صحراء، وما السابعة في الكرسي إلا كحبة في صحراء، وما الكرسي في العرش إلا كحبة في صحراء، وما العرش في كف الرحمٰن إلا كحبة في صحراء».

ولا نُؤول ولا نُشبِّه ولا نُجَسِّد ولا نقولَ إلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11].

تفكَّر أخي الحبيب في هذا الحديث جيداً واستشعر جلال الله... تذكر قدرة الله وأنت واقف بين يديه، ناصباً قدميك تصل الأرض بالسماء...

اكتب علمي من خلقي...!!

إنني أسعى من خلال هذه الآيات والأحاديث إلى إيقاظ هذا القلب الذي طال نومه فأصبح مخدراً يحتاج لمن يهزه هزاً شديداً ليخرجه من هذا السبات العميق ولا أرى شيئاً يستطيع فعل ذلك في القلب سوى استشعار قدرة الله وغرسها في القلب...

وثاني الأشياء التي خلقت بعد عرش الرحمٰن، هو القلم يقول النبي ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة وقال: وعرشه على الماء**»[1].

فأول شيء خلق هو عرش الرحمٰن ثم القلم.

يقول النبي ﷺ: «**خلق الله القلم، فقال: اكتب فجرى بما هو كائن في هذه الساعة إلى يوم القيامة**». رواه الترمذي، وأبو داوود والإمام أحمد، روي هذا الحديث برواية أخرى يقول النبي ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى قال للقلم: اكتب علمي من خلقي إلى يوم القيامة**»[2].

فالبعض كلما قرأ هذا الحديث دار في ذهنه أمر وأخذ يشغل باله وبحث عن العلماء في كل مكان ليجيبوا له عما في ذهنه ثم بعد الإجابة لا يقتنع...!!

ولتوضيح ما أقول سأفصّل بعض الأشياء.

السؤال الشهير...!!

سؤال يتبادر للذهن بمجرد سماع أن القلم كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وهو

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6690)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2156).

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2155)، و(الحديث: 3319).

سؤال شهير، إنه السؤال القديم الجديد، يقول هذا السؤال: الإنسان مخير أم مسير؟ تراه يقول: طالما قد كتب علينا ما الذي سنفعله لماذا نعمل إذاً؟ ونتحرك ونتعب أنفسنا، لماذا سيتم الحساب يوم القيامة والله هو الذي كتب علينا أفعالنا؟

انه سؤال الشك الأول، الذي يتفنن فيه الشيطان وتبرز فيه قوته... فيجعلك متفرغاً تفرغاً كاملاً لا شيء الا للمناقشات والحوارات والاستفسارات. ويا ليت ذلك يأتي بفائدة...؟!

لا تخرج من فمه أبداً...!!

ولي هنا على هذا السؤال الشهير ثلاث التفاتات...

الأولى: أنني وجدت شيئاً عجيباً...! وهو أن سائل هذا السؤال من العاصين وليس من الطائعين...! هل سمعنا يوماً أحد الطائعين يسأل هذا السؤال!؟

لا بالطبع فإن الطائع الموصول بالله ﷻ، الذي امتلأ قلبه بحب مولاه لا يشغل باله بهذه الأمور الكلامية الفلسفية.

في حقيقة الأمر أن هذا السؤال أحياناً يكون حجر عثرة للعاصين فهو كالمخدر الذي يجعل المدمن أسيراً له، أما مشاعل النور، أصحاب القلوب الطاهرة والطائعون، فهم مشغولون بالعمل لا بالكلام والكسل، فلا يخرج من أفواههم هذا السؤال أبداً...

الصانع أعرف بصنعته

الثانية: أن البعض يقول: ولكن الحديث صريح، فلقد قال الله للقلم: اكتب علمي! إذن كيف يحاسبنا الله وهو الذي جعلنا نعصيه!؟ ولتوضيح هذه النقطة إليكم هذا المثال: أب عنده ثلاثة أولاد، أعطى كل واحد منهم عشرة جنيهات، وقال لهم: أنفقوا هذه الجنيهات العشر كيفما تشاؤون، فلكم مطلق الحرية في اختيار ما تشترون، وخرج الأولاد فجاء هذا الأب بكتاب وكتب فيه الولد الأول سينفق الجنيهات العشر في سبيل الله، والثاني لن ينفق جنيهاً واحداً فهو بخيل، والثالث سينفق الجنيهات العشر فيما يغضب الله، وعاد الأولاد الثلاثة وتحدث كل منهم وحكى كيف تصرف في الجنيهات، فإذا بهم قد فعلوا ما كتبه الوالد في الكتاب...!!

سبحان الله...!! إن أباهم يعرفهم جيداً، وهو عالم بتصرفاتهم.

وفي نفس الوقت لم يخيرهم بين عمل شيء أو ترك شيء، ولله المثل الأعلى فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلقنا، ***فالله حين أمر القلم بالكتابة كانت كتابة علم لا كتابة اخبار، فنحن مخيرون لنا مطلق الحرية في الفعل والترك، كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ... ولكن هل هناك أحد يعرف ما الذي كتب؟ اذاً نحن في دار العمل والطاعة، وانت مخير وهناك طريقان اما طريق الله واما طريق الشيطان...***

الثالثة: أن البعض لم يقتنع **بالأولى** ولا **بالثانية** وما زال ينتظر إجابة تقنعه، فهو ما زال في شك، وإلى هذا النوع أوجه سؤالاً... وأرجو أن تكون إجابتهم سريعة، يقول السؤال: هل ربنا تبارك وتعالى عادل أم ظالم!!؟ وبالفعل كانت الإجابة سريعة... الله عادل لا يظلم أحداً.

إذاً لماذا كل هذا القلق والشك وعدم الاطمئنان...!؟ وأنت تعلم أن الله هو العدل وهو المقسط.

حقاً ان هذا السؤال كفيل بالرد.

من يقول اذاً ان الإنسان مسير. مجبر. على ما يفعل.

من يقول ذلك... لأنه يقول بأن الله ظالم.

... غاية ما نريد...

ونعود سريعاً للحديث... فالله قال للقلم: اكتب، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة... أما أحسست شيئاً: «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا...».

الله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور... إن الله بكل شيء عليم: «أما شعرت بالمراقبة... أما أحسست بأن حركاتك وسكناتك مراقبة من قبل الله ﷻ.

كيف بعد ذلك تنظر إلى الحرام!؟ ألا تعلم أن الله ينظر إليك، أتختبىء من الناس لخوفك أن يروك على المعصية؟

ولا تأبه بنظر الله إليك...!! أجعلت الله أهون الناظرين إليك...!!

يقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن

﴿نَجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: 7].

ماذا دهاك أيها الإنسان...؟

أنسيت أن لك رباً...!؟ أم نسيت أن هناك يوماً سيكون للإنسان فيه حساب؟!

وداعاً للأرق...

إن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة... ومما جرى به القلم الرزق أليس كذلك...!؟ فلقد كتب لكل منا رزقه، فَلِمَ إذاً القلق والأرق والخوف الشديد على فوات الرزق...؟ الكل يخاف على المستقبل، ومِن المستقبل...!!

لماذا كل هذا الخوف طالما أنك تجتهد وتأخذ بالأسباب للحصول على الرزق... أحبتي الكرام لقد كتب الرزق في اللوح المحفوظ حقاً... صدق رسول الله حين قال: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكّله لرزقكم كما يرزق الطير يغدو خماصاً ويعود بطاناً**»[1] وحق التوكّل على الله يتم بشيئين **الأول**: باليقين بأن الرزق قد كتب في اللوح المحفوظ، **والثاني**: بأن نأخذ بالأسباب فنجتهد للحصول على هذا الرزق.

التوكل عملياً...

وانظر إلى النبي ﷺ وهو يعلّم شاباً صغيراً - ابن عباس رضي الله عنهما - فيقول له كلمات ينبغي أن تنقش في قلوبنا: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء، قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[2].

هكذا تترسخ الثقة بالله... هكذا تكون عقيدتنا... هكذا يكون التوكل حقاً... فلا خوف على فوات الرّزق، قال ﷺ: «**إن الله قسم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم**»[3] فالرزق قد تقسم، فعلام نتقاتل...!!

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2344)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 4164).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2156)، وأخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 3/ 541).

(3) أخرجه **الإمام أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 387)، وأخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 1/ 33).

وأنت أيتها الأم الطيبة لماذا كل هذا القلق... لماذا كل هذا الخوف... أسمعك تقولين: لقد تأخر زواج ابنتي لقد تعدت الثامنة والعشرين...

أيتها الأم الطيبة... اسم زوج ابنتك مكتوب عند الله، فلقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة... أيها الناس... رجالاً ونساءً... توكلوا على الله حق توكله اركنوا إلى القوي فأنتم ضعفاء... لو ركنتم إلى أنفسكم ستضيق عليكم الأرض بما رحبت، واعلموا أن من وُكِلَ إلى نفسه افترسه الهم.

إياك... ثم إياك...

وكما رأينا... فأول ما خُلِقَ عرش الرحمٰن، ثم القلم، ثم اللوح المحفوظ. وقبل أن نكمل هناك مسألة يجب أن نتعرض لها. يقول النبي ﷺ: **«إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول له من خلق السماء؟ فيقول: الله، فيقول له: من خلق الأرض فيقول الله، فيقول له: من خلقك فيقول الله. فيقول له: من خلق الله!!»** فيقول النبي ﷺ: **«فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله، فإن هذا الأمر عنه»**[1] ويقول النبي ﷺ: **«تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذات الله فإنكم لن تقدروا قدره»**[2] ويقول النبي ﷺ: **«يسألكم الناس عن كل شيء وحتى يسألوكم: هذا خلق الله، فمن خلق الله؟ فإن سئلتم فقولوا: الله قبل كل شيء، وخالق كل شيء، وهو كان بعد كل شيء»**.

وهنا قد يختلط الأمر عند البعض، ويقول: ألا نستعمل عقولنا؟! إن الله خلق لنا عقولاً لنفكر، فلقد جعل الله سبحانه وتعالى طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لذا فالعقل مطالب بالتفكّر في كل شيء، ولكن حينما نتكلم عن الله ﷻ خالق الكون ومدبره لن يستطيع العقل إدراك ذات الله، ولن يُقدّر قدر الله، وبالتالي لا يسعه إلا أن يقول: «ليس كمثله شيء». إن عقولنا ناقصة. فهل الناقص يدرك ويستوعب الكامل.

شيء أجده في صدري!!

وهذه قصة لطيفة حدثت مع ابن عباس، ذهب إليه رجل وقال له: يا ابن عباس، شيء أجده في صدري... !! فقال: ما هو؟ فقال الرجل: والله لا أتكلم بها... فقال له ابن عباس:

---

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 331).

(2) ذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (2/ 110)، وذكره **القرطبي** في «تفسيره» (4/ 312).

شيء من الشك ـ وساوس ـ فقال الرجل: نعم، كيف عرفت؟! فقال ابن عباس: إنما أجد هذا في من كانت بداية عهده مع الله، فإذا وجدت في نفسك شيئاً من هذا فقل: هو الأول والآخر، والظاهر والباطن... لا إله إلا الله، ليس كمثله شيء.

ربما يظن البعض أن من يحدث له ذلك ضعيف الإيمان، أو أنه عاصٍ، أو أنه غافل. ولكن مقولة ابن عباس واضحة: «وإنما أجد هذا في من كانت بداية عهده مع الله» وهذا في أول قربه من الصلاة والذكر والدعاء والطاعة بوجه عام.

هل يا ترى إذا كنت طائعاً لله، لن يوسوس لك الشيطان بمثل هذه الأمور؟ إنه سيوسوس لك بأمور أخرى وبذلك يجعلك تعصي الله كل يوم بشكل جديد وبخطة ثانية لها مراحل وأعراف، ولكن كل من وضع قدمه على أول طريق نور الله يكون للشيطان معه هذا الحال.

أنت على الحق...

لقد أَطَلْتُ كثيراً في عرض هذه النقطة ـ الوساوس ـ خوفاً من أن يشك بعض من تراوده أنه على الطريق الصحيح، وأن من لا تراوده هذه الوساوس على خطأ. وهذه ليست قاعدة، فهناك من يعفيه الله سبحانه وتعالى ويعصمه منها.

ولكني وجدت لها أهمية، فالشيطان إذا أراد أن يوسوس يأتي للإنسان من باب الطاعة، كما أوضحنا، فهو يحاول بأي شكل أن يجعلك تكره هذه الطاعة، وهناك صورة نراها كثيراً وهي صورة الوسوسة في الوضوء، تجد أحدهم يتوضأ أكثر من مرة لوسوسته الشديدة التي شغله بها الشيطان... وساوس يلجأ لها الشيطان ليقنع الشاب والفتاة أنهما على خطأ وأنهما غير مؤهلين للتدين وللقرب من الله ﷻ... إنها خطة قد تبناها طيلة أيام حياته ليصل إلى ما يريد... فهل تكون عوناً له على النجاح...!؟

ظاهرة صحية..!!

والذي نجّاه الله وعافاه من هذه الوساوس لا يعتقد بأنه على خطأ، بل يحمد الله على هذه النعمة... أما غالب المتدينين فحدث لهم مثل هذه الوساوس، ولنَعْلم أن هذه الوساوس بمثابة مؤشر على قرب الإنسان من ربه.

إنني أخاطب في كل شاب وفي كل فتاة قلباً طاهراً نقياً يستعد الشيطان لإيقاعه في

الشهوات والمعاصي والأهواء، أخاطبه وأستحثُّه على الوقوف بشدة لتلك الهجمة التي سيستخدم فيها الشيطان كل أسلحته، ولكن ما قيمة الأسلحة أمام سلاح الإيمان.

ودواؤك كما علمت

إذاً إياك أن تظن أنك سيىء لأن هذه الوساوس تراودك. ثانياً: حينما يلجأ الشيطان للوساوس قل كما علمك النبي ﷺ وكما علمك ابن عباس... قل: آمنت بالله ورسوله، قل: لا إله إلا الله، قل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن، قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اذكر الله فبذكره يفر الشيطان. إننا الآن نضع العلاج لهذه الوسوسة وذلك:

أولاً: أن تعلم أنك لست شيئاً.

ثانياً: تقول كما عَلِمْت وتذكر الله.

ثالثاً: تصدّق وهذه فكرة لطيفة... وإليك ما أقصد.

فكرة لطيفة...!!

إذا بدأ الشيطان في وسوسته عليك أن تتصدق، ولتكن صدقة محدودة (22 قرشاً أو 50 قرشاً) إياك أن تجعلها صدقة كبيرة فالميزانية لن تسمح...! ولكن احرص أن تتصدق مباشرة كلما راودتك تلك الوساوس، فتجد في اليوم ـ مثلاً ـ وسوس عشر مرات إذن أتصدق في هذا اليوم بجنيهين ونصف، فيجد الشيطان أنه كلما وسوس لك ازددت أنت حسنات، فلقد فتح لك باباً من أبواب الطاعة، فيكتشف أن هذا الباب لم يعد ينفع ـ الوسوسة ـ ولكن الشيطان لا ييأس بل يقول: سيصبر هذا الإنسان لمدة شهر فقط، فيستمر معك شهراً، ولكن جهودك أنت كانت أفضل منه. هكذا دائماً صمود الإيمان... وهنا يتراجع الشيطان منكس الرأس مهزوماً في هذه المعركة، ولكن بالطبع سيبحث عن باب آخر ليوقعك.

ما أحلى الانتصار وخاصة حين يكون في معركة طرفها هو الشيطان... وما أعظمك يا عمر فلقد انتصرت عليه انتصار الفاتحين.

بلى قادر...!

وأُذكِّر أننا حين أوضحنا رؤيتنا الجديدة لقصص الأنبياء بينّا أنها ستكون إسقاطاً على

واقعنا، وليست مجرد سرد للأحداث وفقاً للقصص بقدر الوصول للعبرة والعظة في كل موقف من المواقف... إذاً ماذا كان بعد عرش الرحمٰن والقلم واللوح المحفوظ؟ كان خلق السمٰوات والأرض، يقول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. ويقول أيضاً في آية أخرى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54]. ثم يفصل الله خلق السمٰوات والأرض في سورة فصلت، يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: 9-12] ونعلم جميعاً أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يقول للسمٰوات والأرض كن فيكون فبكلمة واحدة يكون الخلق، ولكن لله حكمة في أن تكون في ستة أيام.

افهم هذا المعنى جيداً...!!

أراد الله سبحانه وتعالى من خلقه للسمٰوات والأرض في ستة أيام أن يعلمنا أن كل شيء في هذا الكون يسير بتدرج معين، وأن الأمور تسير كذلك خطوة بعد خطوة، وبالتالي نتعلم أن من جاءته مصيبة، والعياذ بالله، حلها يكون وفق خطوات ولا بد من الصبر على هذه الخطوات، ونتعلم أيضاً أن من أراد دعوة الناس فليصبر عليهم، فالناس لا يهتدون بكن فيكون، لا يهتدون بلحظة، فلا بد من الصبر.

إن هذا المعنى في غاية الأهمية فبعضنا لا يفهم هذا المعنى وبالتالي يتعامل مع الناس كالدب الذي يقتل صاحبه، يريد هداية الناس ولكنه يتبع أسلوب التنفير.

لقد تجرأوا على الله...!!

ولليهود كلام خطير في مسألة خلق السمٰوات والأرض - بل لهم كلام خطير في أشياء كثيرة، انظر ماذا يقولون...

إنهم يزعمون بأن الله خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، ولما انتهى من خلق

السمٰوات والأرض أراد أن يستريح! فاستراح في اليوم السابع، فكان اليوم السابع هو السبت...!

لا إلٰه إلا الله....

ولذلك يردُّ الله على هذا الكلام في القرآن الكريم ويقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [قّ: 38].

أخبرونا من أي صنف أنتم من بني البشر؟! كيف تقولون ذلك على الله...؟

إن الراحة دليل على التعب... فهل الله يتعب...!؟

«حاشا لله».

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ هذا هو الحل المناسب لهم، وهو الحل المناسب أيضاً لكل المشاكل، إنه الصبر، إنه الحل الوحيد لكل ما هو قابل للتغيير.

أما ترضين...!؟

وبمراجعة سريعة نجد أن ما خلق هو العرش والقلم واللوح المحفوظ والسمٰوات والأرض وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها، وفي هذا الصدد نذكر شيئاً لطيفاً وهو أن ربنا تبارك وتعالى جعل مع بداية الخلق أشياء عظيمة وهي معانٍ وأخلاق، وذلك قبل أن يخلق سيدنا آدم عليه السلام فلنعش معها للحظات، وبنفوس صافية، وبعقول ناضجة، وفي جو رباني.

يقول النبي ﷺ: **«إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من قطعك قالت: بلى. فقال: لك هذا»**[1].

هيا اغتنم الفرصة واستثمر تفاعلك مع هذا الحديث وكن سريع التأثير وسريع العمل... هيا انطلق بكل أقاربك هيا اطمئن عليهم... هيا وكن من الواصلين. كان هذا نداء الرحم في أول الخلق، وانظر إليها في الختام يقول النبي ﷺ: **«ينصب الصراط فتأتي الرحم والأمانة فتقومان على جنبي الصراط، لا يمر أحد حتى تقول له أعطني حقي الذي**

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 4830)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6465)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 330).

أعطاني الله إياه يوم خلق السمٰوات والأرض»[1].

أجبني... إن الدنيا هينة... إن الدنيا أقل من أن يتناحر الأهل عليها... أتقاطع أخاك من أجل الميراث، أتقاطعين أختك بسبب موقف.

آه... أيتها الدنيا لو يعلم أهلك قيمتك لعاملوك بما تستحقين.

أتدرون ما الباب...!؟

يقول أحد الصحابة في الحديث الذي رواه الترمذي وابن ماجه «حدثنا النبي ﷺ أنه باباً من قبل المغرب مسيره سبعون عاماً، يسير في عرضه الراكب سبعين عاماً، خلقه الله يوم خلق السمٰوات والأرض لا يزال مفتوحاً فقال النبي ﷺ: **«أتدرون ما الباب؟»** قالوا: لا الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: **«الباب هو التوبة، يظل مفتوحاً مسيرة سبعين ألف سنة»**، خلق آدم عليه السلام وهذه إشارة تجعل الإنسان في منتهى السعادة فباب التوبة مفتوح. من يقول بعد ذلك: «أيقبل الله التوبة أم لا...!».

أراك تعلمت من صلة الرحم، وأشعر بك ترفع يديك إلى السماء وتتساقط معك أطهر القطرات لتروي تربة التوبة بعد أن أجدبت.

اللهم تب علينا جميعاً... اللهم اجعلنا من التوابين.

انتهز الفرصة الآن...!

إن شروط التوبة كما نعلم جميعاً ثلاثة:

الأول: الندم.

الثاني: الإقلاع عن الذنب.

الثالث: العزم على عدم العودة.

والآن فليستعرض كل منا ذنوبه، وليأخذها ذنباً ذنباً، ويطبق هذه الشروط الثلاثة عليه وليبدأ بالتنفيذ.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 481)، مطولاً.

هنيئاً لكل من أجاد... هنيئاً لكل من تفاعل... هنيئاً لك من دحر الشيطان... هنيئاً لكل من أحب الله فتوكل عليه... هنيئاً لكل ذي قلب سليم.

واقتربت الملائكة: ويقول النبي ﷺ: **«إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السمٰوات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين، فختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان»**[1].

وهاتان الآيتان هما خواتيم سورة البقرة يقول الله ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 285 ـ 286].

إنها مسألة تشغل بال الكثير من الناس وخاصة النساء، ألا وهي مسألة المس فالكل يخاف من الشياطين.

وهذا حديث يجعلنا لا نخاف أبداً فلقد أوضح النبي ﷺ أن البيت الذي تقرأ فيه هاتان الآيتان لا يقربه الشيطان ثلاثة أيام، وبالتالي فلا داعي للخوف والقلق فضلاً عن الذهاب للدجالين أو المشعوذين فالشفاء في أيديكم...!

فهي حرام إلى يوم القيامة...

ما زلنا مع الأشياء التي كانت قبل آدم عليه السلام يقول النبي ﷺ: **«إن الله حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة»**[2].

ولذا فنحن متيقنون أنها آمنة إن شاء الله إلى يوم القيامة، نشتاق إلى زيارتك يا مكة... يا حبيبة رسول الله، نشتاق إليك أيها البلد الحرام... يا من سار على ترابك خير خلق الله.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/ 274)، وأخرجه الدارمي في «سننه» (الحديث: 2/ 449).

(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 3009)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 4/ 32).

ولا يهلك يومها إلا هالك

يقول النبي ﷺ: **«إن الله خلق يوم خلق السمٰوات والأرض مائة رحمة أنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق، فإذا كان يوم القيامة ضم الله هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على خلقه فلا يهلك يومها إلا هالك»**[1].

رحمة واحدة تتراحم بها المخلوقات جميعها.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ولا تعذّبنا فأنت علينا قادر والطف بنا يا مولانا فيما جرت به المقادير.

المعنى الخالد

يقول النبي ﷺ: **«لما خلق الله الخلق، كتب كتاباً فهو عنده فوق العرش، مكتوب فيه: رحمتي سبقت غضبي»**. وفي رواية أخرى: **«إن رحمتي غلبت غضبي»**[2].

معنىٰ خالد مكتوب في أعلى وأرقى مكان.

إن الأصل في تعامل الله معنا هو الرحمة، ولكن الغضب يكون نتيجة تصرفاتنا وأعمالنا.

أخي الحبيب... يجب أن تعيد ترتيب أوراقك من جديد هيا... فبداية الخلق لها معان وأهداف أردت إيصالها لك فهل وصلت...؟ هل اخترقت...؟

اين علاقتك بهم...؟

نستكمل الآية مع ما بدأناه بعد هذه الوقفة مع المعاني التي وجدت قبل خلق آدم عليه السلام... كانت وقفة لها ظلال وارفة... ظللت علينا بالرحم والخوف من قطعها.

ثم التوبة وبابها المفتوح، ثم الآيتين والتحصين من الشيطان، ثم مكة وحرمتها، ثم الرحمة.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6906)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 526).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 3194)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 6903)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 433).

والآن مع المخلوقات النورانية ـ الملائكة ـ والحديث عنهم شيق وجميل ومحبب إلى القلب... وإيماننا بالملائكة جزء من عقيدتنا... وقبل الحديث عنهم... أسأل سؤالاً وهو: هل نحب الملائكة؟ هل بيننا وبينهم علاقة؟ أين هذه العلاقة...؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها نعيش مع أحاديث النبي ﷺ يقول النبي ﷺ: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من النار، وخلق آدم مما وصف لكم**»[1].

نحن نؤمن بأنها مخلوقات نورانية، ولكن لا نعرف الكيفية فلا نشغل أنفسنا بذلك، ونحن نعلم أنهم خلقوا قبل آدم بدليل قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: 30].

إنني لست كتاباً...!

ترى ما هي أشكال الملائكة؟ وما هو وصفهم؟ يقول النبي ﷺ: «**رأيت جبريل في صورته له ستمائة جناح، كل جناح يسد الأفق كلما نظرت في ناحية من السماء وجدته يملؤها**»[2].

تخيل واسرح بخيالك وتصور هذا المخلوق العظيم.

وانظر إلى نفسك وحجمك الضعيف... كم نحن مساكين ضعفاء... كيف نتكبر على الله...؟! كيف نعصيه...؟!

أجبني... ليس هدفي حشو رأسك بمعلومات بقدر حرصي على إفادتك الإفادة العملية والتطبيقية، وبقدر حرصي على الوصول إلى هذا القلب الذي نال حظاً من التراب...! ويحتاج من ينفض عنه هذا التراب، هدفي الحقيقي أن ينتقل خطوة إلى الله... ثم خطوة تالية وهكذا، فإن لم يحدث ذلك فما تمت الاستفادة، إن لم يقترب القلب من ربه ويتصل به فلا حاجة لكم بهذا الكلام.

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 7420)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 6/ 168).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 4856)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 431)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3277)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 395).

تواضع يا عبد الله...

يقول النبي ﷺ: **«أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»**[1].

سبحان الله...! يا لضعفنا، يقول الله ﷻ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۝٢٩﴾ [النازعات: 27 ـ 29].

تخيَّلوا أحبتي الكرام هذا الملك الذي أُذِنَ للنبي أن يُحدث عنه، إنه مخلوق من مخلوقات الله وأنت كذلك مخلوق من مخلوقاته، ولكنه مطيع لربه متواضع له فهل أنت كذلك أم ترى لنفسك شيئاً...؟!

وللملائكة أجنحة وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: 1].

حديث جميل يدلنا على خيارنا أرضاً وسماءً!

لقد جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدراً فيكم؟ فقال النبي ﷺ: **«خيارنا»**، فقال جبريل: وكذلك نعد ـ معشر الملائكة ـ من شهد بدراً من الملائكة.

أين نحن من عبادتهم...؟

يقول النبي ﷺ: **«أطّت السماء** ـ تكاد تقع ـ **وَحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع ثلاث أصابع إلا وفيها ملك قائم أو راكع أو ساجد فإذا قامت القيامة يقولون: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك»**[2].

يا الله...! فماذا نقول!؟

ألم نقرأ قول الله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦﴾ [فاطر: 16]. إنا نحن

---

(1) أخرجه **أبوداود** في (الحديث: 4727).

(2) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 5/ 173)، بنحوه.

المحتاجون إلى عبادته سبحانه، فعبادتنا لا تنفعه سبحانه ورغم هذه العبادة العظيمة من الملائكة إلا أن الله سبحانه وتعالى أسجدهم لآدم... أرأيت مكانتك عند الله...!؟

ومع ذلك ترى الملائكة تدنو لنا، وتستغفر لنا إنها علاقة بين طرفين والطرف الأول ـ الملائكة ـ يقوم بأدائها حق الأداء، أما الطرف الثاني...؟!

obeikandl.com